

نظرية الحقول الدلالية والمعاجم المعنوية عند العرب للدكتور محمود جاد الرب

الباحثين المحدثين والدارسين العرب من حيث توزيع اللغة على مجالات دلالية متعددة جاء متشابها ، وإن كان الخلاف بينهما يكمن في طرق تناول داخل الحقول الدلالية ، وفي توزيع المفردات على الحقول المتنوعة .

وستتناول فيما يلي أهم الأسس التي قامت عليها نظرية الحقول الدلالية في الدراسات اللغوية متبعين ذلك بما ورد عند العرب في مجال المعاجم المعنوية .

ينبغي أولا أن نشير إلى أنه توجد مصطلحات عدة تستعمل في هذا المجال، وأهمها :

١ - حقل الكلمة أو الحقل القاموسى للكلمة lexical field ، ويقابلة بالفرنسية Champ lexical ، وبالألمانية Wortfeld .

نتناول في هذا البحث أهم الأسس التي قامت عليها نظرية الحقول الدلالية في الدراسات اللغوية الحديثة . ثم نقارن بينها وبين فكرة المعاجم المعنوية عند العرب محاولين بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه وتلك ، هذا على الرغم من الاعتراف بأن الهدف عند الفريق الأول يختلف عنه عند الفريق الثانى ، كما أن الطرق التي اتبعها كل فريق منهما لتوضيح دلالات الألفاظ متباينة .

وعلى الرغم من ذلك فإننا نرى وجود تشابه ما بين الدراسات الغربية الحديثة والبحوث العربية في مجال المعاجم المعنوية ، حيث كانت هذه الدراسات وتلك البحوث تتناول مجالا مشتركا واحدا ومستوى لغويا متماثلا ، ونعنى به مجال الدلالة أو المعنى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن تناول الألفاظ عند

٢ - المجال الدلالي أو الحقل الدلالي
Semantic field ، وبالفرنسية
Champ semantique ، وبالألمانية
Semantisches Feld وذلك إذا
كان المقصود به التعبير عن
الملامح في دراسة المعانى
القاموسية .

٣ - المجال اللغوى linguistic field ،
وبالفرنسية Champ syntactique
وبالألمانية Syntaktisches Feld ،
وهذا المصطلح بعيد عن مجال
البحث فى هذه النظرية .

٤ - الحقل التركيبى Syntactic field
وبالفرنسية Champ linguistique
وبالألمانية Sprachliches Feld ،
وقد يستعمل أحيانا للتعبير عن
المجال الدلالي التركيبى للكلمة ،
هذا ويميز بعض الباحثين بين
حقل الكلمة والحقل التركيبى .

بدايات النظرية :

إن بدايات هذه النظرية تعود إلى

عام ١٨٧٧ ، فقد أشار أومان إلى أن
"تجنر Tegner" استعمل مصطلح حقل
فى مقال له بعنوان «تقديم أفكار الحقل
اللغوى» Die Idee des
Sprachlichen Feld " كما أشار "بالدنجر
Baldinger" إلى أن "أبل Abel" استعمل
عام ١٨٨٥ "مفهوم الحقل اللغوى" ، كما
يذكر أن "ماير Meyer" أول من عرض
أفكارا بشكل منظم ، وكان ذلك عام
١٩١٠ فى مقاله المسماه " نظم المعنى
Bedeutungssysteme" ، وقد حدد النظم
الدلالية على أنها ارتباط منتظم لعدد
محدود من التعبيرات من وجهة نظر
فردية .

وقد ميز "ماير" بين ثلاثة أنواع من
نظم المعنى : النظام الطبيعى ، النظام
الفنى (مثل الألقاب العسكرية ، والتي قدم
لها بدراسة خاصة عام ١٩١٠) ، النظام
شبه الفنى (مثل مصطلحات الصيادين
والحرفيين) .

إن هذا التمييز ظهر بشكل أو بآخر
فى بحوث أخرى ، عند فايسجوير

وكوسريو مثلاً ، كما يذكر "ماير" نفسه أن صيغة نظمه الدلالية كانت موجودة عند "أوستهوف Osthoff" في بحثه المسمى "طبيعة التعريف في اللغات الهند جرمانية Suppletivwesen der indogermanischen Sprachen" الذي طبع عام ١٨٩٩ بمدينة "هايد لبرج" بألمانيا .
وقد لفت "كوسريو" الانتباه إلى رائد قديم من رواد التحليل الحقلى ، وهو "هايسى" Heyse الذى تناول حقل كلمة "Schall" بمعنى "صوت" فى عمله الذى نشره بعد وفاته شتاينتال "Steinthal" ،
والذى جاء بعنوان "نظام علم اللغة" ، وقد طبع عام ١٨٥٦ ببرلين ، وإن كان "هايسى" لم يتحدث عن حقل الكلمة إلا أن تحليله كان ذا قيمة منهجية ، ويمكن أن يعد إسهاماً فى علم الدلالة البنىوى .

ويشير "أوتو Otto" إلى أن "أدولف شتور Adolf Stohr" فى كتابه "كتاب المنطق التعليمى فى الوصف النفسى (لايبتزج - فينا ١٩١٠) أول من قام بعمل علاقة بين الحقول الدلالية ومجموعات

الحقول ، كما يشير "شقارتز Schwarz" إلى الاستعمال اللغوى لمصطلح "حقل" عند "قرنر Werner" فى كتابه "أصول المجاز" الذى طبع بلايبتزج عام ١٩١٩ .(١)

ويرى "أولمان" أن رواد المدرسة الحديثة (نظرية الحقل) تعود فى الألمانية إلى "هردر Herder" عام ١٧٧٢ ، وإلى "هومبلدت Humboldt" (١٧٦٧ - ١٨٣٥) الذى يعد الجد الروحى الأعلى لهذه النظرية ، ثم يشير إلى ما رده كثير من العلماء من أن معظم الأفكار التى طورها "تريير Trier" توجد بوضوح عند "أوستهوف" أحد علماء مدرسة النحاة الشبان .

أما شيوع المصطلح بوصفه مفهوماً لغوياً فإنه يعود فى البداية إلى "هوسرل Husserl" ، "وفرديناى دى سوسير" .(٢)

إسهامات ف. دى سوسير :

يرى ف . دى سوسير أن كل كلمة تحاط بشبكة من الخواطر والأفكار التى ترتبط من خلالها بالكلمات الأخرى ، إن

هذه التدايعيات ترتبط بالمفهوم وبالصيغة ، حيث تمتد إلى المعنى وإلى الشكل ، وقد مثل لذلك بكلمة .

" تعليم enseignement " ، والتي يتفرغ منها أربعة خطوط :

١ - الاتصال بالفعل شكليا وداليا لأنه نفس الجذر .

٢ - الاتصال بكلمات التعليم والتربية والثقافة من خلال المشابهة فى المعنى .

٣ - الارتباط بكلمات تنتهى باللاحقة (-ment) حيث تشترك معها فى تلك اللاحقة التى تساعد فى تشكل تجريد الفعل .

٤ - الارتباط بالصفة "element" بمعنى " رقيق - لطيف - حنون" وبالظرف "justment" بمعنى " بحق - بعدل " للتشابه فى النهاية .

هكذا يكون التشابه الذى يعتمد عليه ف . دى سوسير فى بيان العلاقة بين

المفردات إما فى المعنى أو فى الصيغة وبذا تستطيع الكلمة - عنده- أن تثير أو تستدعى كل مفرد يمكن أن يتوافق معها فى الشكل أو فى المعنى إنها نقطة التقاء عدد غير محدد من المصطلحات المتناسقة .

إن فكرة ف . دى سوسير عن القيمة اللغوية تتصل بنظرية الحقل الدالى ، فقيمة الكلمة عنصر واحد من عناصر المعنى ، وتزداد قيمة بعض الكلمات من خلال اتصالها بالأخرى ، كما أن قيمة الكلمة تختلف فى لغة ما عنها فى لغة أخرى ، فقيمة المضارع فى الألمانية ليست مثل قيمته فى اللغات الأخرى التى توجد بها بجانب المضارع صيغة أخرى خاصة بالمستقبل ، كما أن قيمة الجمع فى الإنجليزية تختلف عن قيمته فى العربية مثلا ، حيث تشمل صيغة الجمع فى الإنجليزية قيمة المثنى التى توجد فى العربية . (٣) .

وقد تابع "بيللى" تلميذ ف . دى سوسير هذه الاستدلالات ، وقدم مفهوما

مناسبا ، ونعنى به "حقل المشاركة أو الارتباط" ، وقد حصره فى المشاركات الدلالية ، مع التوسع فى التحليل ، يقول : حقل المشاركة (الارتباط) هو الفناء الذي يشتمل على الرمز ، والذي تمتزج أطرافه فى مجاله ، ففى كلمة "ثور" يفكر الإنسان فى :

١ - بقرة - عجل - بقرة صغيرة -

قرون - يجتر - يعض .

٢ - يحرث - محراث - ناف

(الخشبة التى تعلق على رقبة

الثور عند الحرث)

٣ - اللحم - المذبح - الجزار .

هذا بالإضافة إلى التفكير فى

الفرنسية فى تصورات مثل : قوة - أناة

- صبر - عمل - صبور - بطة -

صعوبة - استكانة . (٤)

إبسن :

يشير " إبسن Ipsen" فى عام ١٩٢٤

إلى فكرة الحقل الدلالي قائلا :

"وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك كلمات

خاصة لاتقف وحيدة فى اللغة ، ولكنها ترتبط بمجموعة دلالية ، ولايعنى ذلك أنها مجموعة اشتقاقية ... إن مثل هذه يرتبط محتواها الشعورى بمحتويات شعورية أخرى . إن هذا الارتباط ليس سردا فى خيط من تداعى المعانى ، ولكنه يعنى أن المجموعة كلها تحدد مجالا معنويا تدرج فيه ، وكما فى الفسيفساء تتناسب الكلمة مع الأخرى ، فتوضح كل منهما الأخرى، وتتناسب المعالم بعضها مع البعض الآخر، وتشترك كلها فى وحدة شعورية (معنوية) فى نظام أعلى ، ولا تندمج فى تجريد أسن" .

ويظهر فى هذا النص أن الأساس فى فكرة الحقل كانت مقارنته بالفسيفساء ، وقد استعملت هذه الصورة عند "ترير" ولا يبعد "ترير" نفسه تأثر عمله فى نظريته الحقلية بأفكار "إبسن" يقول : "وما إذا كنت طورت نظرية الحقل بمساعدة ف . دى سوسير فقط ، أو ما إذا كانت السطور إثنا عشر القصيرة عند "إبسن" أثرت فى عملى فإنه لا

يمكننى القول أكثر من ذلك .. إننى أدين
بالفضل فى هذا الفهم لفرد يناندى
سوسير ولقائسجرير" . (٥)

تريير:

نشر " جوست تريير " الجزء الأول
من عمله الكبير "الثروة اللفظية للغة
الألمانية فى دائرة العقل - تاريخ الحقل
اللغوى من البدايات إلى بداية القرن
الثالث عشر" فى هايد لبرج عام ١٩٣١ ،
وقد تطور بحث الحقل منذ ذلك الحين فى
اتجاهين مختلفين ، فمن جهة أنجز
تلامذة "تريير" بحوثاً فردية فى موضوعات
متشابهة فى عصور متنوعة من تاريخ
اللغة الألمانية ، وقد امتدت مثل هذه
البحوث إلى الإنجليزية والفرنسية ، ومن
جهة أخرى اشتعلت مناقشة حيوية فى
تعريف مفهوم "الحقل" .

وقد استخدم "تريير" مصطلح الحقل
اللغوى Sprachliches Feld أو مصطلح "
حقل الكلمة Wortfeld" . إن حقله يرمز
إلى شئ بين الكلمة المفردة ومخزون
الكلمة العام ، إنه الحقائق اللغوية التى

توجد بين الكلمات المفردة ومجموع الثروة
اللفظية التى لها اشتراك مع الكلمة فى
حالة سنكرونية بوصفها مجموع الجزء ،
إن فكرة التبادل العضوى أو التفرع تعود
مباشرة إلى "هومبلدت وف . دى
سوسير" .

وهكذا تتضح فكرة "تريير" أو زعمه
فى أن الكلمات تغطى المجال الكلى
للحقل ، كما أن الحقول تغطى المجال
الكلى للثروة اللفظية ، وهذا يعنى أنها
تغطى - دون فجوات - المجال المعكوس
فى اللغة" . (٦).

أما عند "إيسن" فإن المرحلة الأولى
فى تكوين الحقل تنحصر فى مساواة
صيغ الأعضاء ، ولكن "تريير" ينقد
"إيسن" فى ذلك بقوله : إن المساواة فى
الصيغة ، وكذلك المساواة فى النظام
الشكلى ليس ما يحدث فى داخل الحقل
بل إن المهم هو فى أى حقل يصبح ، إن
تطبيق الاهتمام باللغة يوضح لنا أننا لا
نراعى فى الكلمات المتشابهة دلالاتها
الانتظام المادى أو الشكلى بمعنى
المشابهة فى مستوى التعبير .

وقد كان فهم "إبسن" و "بورزج" و "Porzig" و "جولس Jolles" للحقل اللغوي بتضييق الحقل الدلالي الذي اقترحه "ترير"، وقد تعامل "إبسن" أساساً مع المادة اللغوية للغات الهند أوروبية التي تخلو من وجود السياق، ومن ثم بحث عن أسس لغوية لوجود الحقل، وقد وجدته في التقارب الشكلي والوظيفي للعناصر في الحقل، وفي استخراج مجموعات الكلمات التي تتحد من خلال ملامح صرفية ودلالية.

إن حقول "بورزج" صلات دلالية تتكون من نمط (الفعل + الفاعل + المفعول) وليس من الضروري أن يوجد المفعول دائماً في الجملة، ويمكن التمثيل للصلة الدلالية المشار إليها بالأمثلة التالية: ينبح الكلب - تمسك اليد - ترى العين - تسمع الأذن - يلحق اللسان - يصلح الحصان - تقطع الشجرة.

وقلد أشار "بلانكى" إلى وجوب التفريق بين نوعين من الوحدات القاموسية المفتوحة، وهي الوحدات التي

تزيد وتنقص في اللغة بمرور الزمن مثل: كتاب - شارع - يقرأ... إلخ، في مقابل الوحدات المغلقة، وهي التي لا تتغير خلال العصور المتتالية، وذلك مثل حروف الجر، وأسماء الاستفهام وحروفه، وأسماء الشرط وحروفه... إلخ، وهذان النوعان من الوحدات القاموسية المفتوحة وهما:

١ - الوحدات التي ينسجم بعضها مع البعض الآخر على أساس من ميل معين، وتشكل حقلاً خبيرياً، ففي المنهج التحويلي يسمح التركيب النحوي العميق لجملة ما بتحقيق إمكانيات نحوية متعددة، ولكن لا يمكن أن يقبلها المتكلم والمستمع، لأن الوحدات القاموسية المستعملة لا ينسجم بعضها مع البعض الآخر نحويًا، ومن هنا يستطيع الإنسان أن يتكهن قليلاً أو كثيراً بالافتراضات في الجملة، فإذا وجد الإنسان أداة التعريف

(أل) فى اللغة العربية مثلا فإنه يتوقع بعدها اسما ، وإذا وجد اسم الإشارة (هؤلاء) فإنه يتوقع بعده اسما جمعا مؤنثا أو مذكرا أو فعلا مسندا إلى ضمير جمع (واو الجماعة أو نون النسوة) ، ولكن على الرغم من ذلك فإن إمكانيات تتابع مثل هذه الكلمات محدود جدا على العكس من الصلات الدلالية بين كلمات النوع الثانى من الوحدات القاموسية المفتوحة .

٢ - الكلمات التى يتبع بعضها بعضا فى تمثيل الجملة على أساس من ملامحها الدلالية المشتركة فى القاموس وتشكل حقا للكلمة ، وذلك مثل : ينبح الكلب ، ترى العين ، تسمع الأذن ، ينهق الحمار ... إلخ .

وتوجد مثل هذه الارتباطات الدلالية بين الكلمات فى مجال أصوات الحيوانات والطيور (هديل الحمام -

صهيل الفرس ... إلخ) ، وفى أعضاء الجسم (يعض بالأسنان ، تسمع الأذن ، يذوق باللسان ، يلمس باليد أو بالأصبع ... إلخ) ولكن على الرغم من وجودها فى مجالات متعددة أخرى مثل : يكتب بالقلم ، يقطع بالسكين ، يضرب بالسيف ، يطعن بالرمح ... إلخ ، فإنها محدودة ، وإن كان قد اهتم بالبحث فيها بورزج ، ويرى بلانكى أن هذا المفهوم للحقل لا يتضمن ارتباطا مقنعا للوحدات القاموسية المقصود بالبحث .(٧)

هكذا يمكن القول إن حقول "برزج" ذات الصلات الدلالية المشار إليها لا تشتمل على كل الثروة اللفظية للغة ، فهناك كلمات لا يرتبط بعضها مع البعض الآخر دلاليا وهى الكلمات التى تستعمل مع كلمات أخرى فى سياقات معينة أو فى مواقف خاصة .

أما حقول "جولس" فإنها تتكون من صلة ثنائية من نمط : والد - ابن ، يمين - يسار ، نهار - ليل ، حياة - موت .

وقد انتقد "تريير" الحقل الدلالي ذات

الصلة الثنائية عند "جولس" ، حيث يرى أن هذا الحقل يندرج فى مجال أكبر ، فتمط (والد - ابن) يندرج فى حقل أكبر وهو حقل القرابة الذى يتكون من كلمات عدة ، كذلك الأمر بالنسبة لحقل (يمين ويسار) الذى يندرج تحت حقل الجهات . (٨)

وقد كان انشغال "تريير" بالثروة اللفظية للغة الألمانية وتتبع التغييرات التى تطرأ عليها بمرور الزمن سبباً فى اهتمامه بالحقل ، يقول "تريير" : "لقد ظهرت لى مسألة الحقل عند الاهتمام بالثروة اللفظية للغة الألمانية ، أى بفهم تغييرها التاريخى ، ذلك الاهتمام الذى شغلنى منذ عام ١٩٢٣ " هذا وقد اعترف "تريير" بأنه تأثر بفرد يناندى سوسير بصفة خاصة وبفايسجرير ، كما يتضح مدى تأثيره العميق بأفكار "هو مبلدت" ، وبخاصة فى فكرته اللغوية ، وفى فكرته عن الحقل (٩) .

وقد عد "تريير" الثروة اللفظية للغة نظاماً مندمجاً من الوحدات القاموسية

المتشابهة دلالياً ، ويخضع هذا النظام للتغير المستمر ، ولا يقتصر الأمر على اختلاف الوحدات القاموسية الموجودة ونشأة وحدات قاموسية جديدة ، بل إن الصلات المعنوية التى تقع بين وحدة قاموسية ووحدات قاموسية مجاورة تتغير دائماً بمرور الزمن ، ومع كل توسيع لمعنى وحدة قاموسية يحدث تضيق المعنى لوحدة قاموسية أخرى أو لكثير منها .

ويكمن العيب الكبير فى علم الدلالة التقليدى - كما يرى تريير - فى أنه يحاول تسجيل تاريخ التغييرات الدلالية للوحدات الفردية بدلا من بحث تغييرات التركيب الكلى للثروة اللفظية ، إن المنهج الذى طبقه "تريير" فى علم الدلالة الديكرونى هو مقارنته تركيب حقل الكلمة فى نقطة زمنية محددة بتركيب حقل الكلمة فى نقطة زمنية محددة أخرى ، ويمكن التمثيل لوجهة نظر "تريير" بالمثال الذى ساقه "ليونز" فى مجال علم الدلالة الديكرونى بالوحدة القاموسية - الألمانية

"braun" (بنى) التي كانت تغطي في الألمانية في القرن الثامن عشر في مجال الألوان منطقة أكبر مما عليه الحال في الألمانية المعاصرة التي شاركتها في مجالها كلمة "violett" (بنفسجي) التي جاءت من اللغة الفرنسية .

وهكذا بدلا من أن نقول إن "braun" كان لها معنيان في العصور المتقدمة (بنى وبنفسجي) ، ثم اقتسمت معها المعنى كلمة "بنفسجي" - كما مال إلى القول بذلك القاموسيون التقليديون أو علماء الدلالة القدماء - يرى "ترير" أن التركيب الداخلي للحقل الدلالي تغير بين هاتين الفترتين الزمنيتين ، إن كلمة "بنى" لها معنى واحد في نظام لغوي واحد ، ولها معنيان مختلفان في النظامين اللذين يتبعان عصرين مختلفين ، ومن ثم يثار سؤال هو : لماذا نقول إن "بنى" في الفترة الزمنية الأولى هي نفسها "بنى" في الفترة الزمنية الثانية ، إذا كانت تتبع نظما لغوية مختلفة ؟ (١٠)

ويمكننا الآن تلخيص فكرة "ترير"

عن نظرية الحقل تلك بأنه يرى الثروة اللفظية للغة في إطار المنظور التزامني السنكروني على أنها كل يتفرع دلاليا ، وتنقسم في الواقع إلى حقول للكلمات التي يمكن أن تتجاوز أو تتفرع إلى صلات متدرجة ، إن حقل الكلمة أو الحقل اللغوي لرمز ما يمثل كلا متفرعا أو تركيبا منقسما ، إن معنى الكلمة المفردة يرتبط بمعنى الكلمات القريبة منها دلاليا^(١١) ويرى "ترير" كذلك أن معاني الكلمات تتحدد من خلال عددها وموقعها في الحقل الكلي ، كما أن ضبط الكلمة المفردة يرتبط بحالتها الراهنة في الحقل الدلالي ومن خلال تركيبها الخاص ، إن الكلمات ليس لها معنى إذا غابت عن المستمع الكلمات المتقابلة معها في الحقل الدلالي ، وتكون غير محددة المعالم وغير واضحة الدلالة إذا لم تتبادل معها الكلمات القريبة منها دلاليا ، وإذا لم يحصل المستمع على نصيبها في الحقل الدلالي ، كما تبرز حدود الكلمة المنطوقة من خلال اقترابها من تلك الكلمات ، ويشير "ترير" أخيراً إلى مصطلح " الحقل

الكبير" ، لأن الحقل بوصفه كلاً ليس مجموعاً من أجزاء متناثرة أو من عناصر فردية ، ولكنه يستنتج بوصفه وحدة من حقول كبرى . (١٢)

فايسجرير :

إن الحقل اللغوي أو حقل الكلمة أو الحقل التركيبي عند فايسجرير قطاع من عالم وسط في اللغة الأم الذي يبنى من خلال مجموع عدد من الرموز اللغوية المتضافرة في عنصر منظم ، إن مثل هذا العنصر مؤثر ، حتى وإن كان غير مدرك بما تحمله من تفاصيل أو غير بصير بها . وقد انشغل "فايسجرير" نظرياً وعملياً ببناء حقول الكلمات ، وميز في ذلك بين الطبقات أو القطاعات التالية في الحقل (ويكون قد تجاوز بذلك "ترير") ويتضح تنظيم حقول الكلمات من التصنيف التالي :

الحقول الطبقيّة :

وتتفرع إلى الأنواع التالية :

تصنيف ترتيبي : مثل درجات تقدير

العمل (ويعطى أمثلة وردت عند "ترير" مثل : مقبول - جيد - جيد جداً - ممتاز) ، وصفوف الأعداد تصنيف مساحي : مثل حقل كلمات القرابة .

تصنيف عميق : مثل مخروط الألوان .

تصنيف نو طبقات متعددة : مثل التعبيرات اللغوية التي تطلق على الموت . ويشير "فايسجرير" أيضاً إلى ثلاثة أنماط من حقول الكلمات ، وهي أنماط لها خواص متميزة حسب مجالاتها وهي : حقول الكلمات في مجال مظاهر الطبيعة . حقول الكلمات في مجال مظاهر المدينة . حقول الكلمات في مجال الروح .

ويعلق " جكر" على هذا التصنيف بقوله : "إن هذه المحاولة لتصنيف حقول الكلمة ليست - من وجهة نظرنا - كافية ، حيث لم يَعملَ منهج منظم لحقل الكلمة ، هذا هو اعتراضنا الرئيسي على بحث حقل الكلمة في عمل "ترير" ،

Rogets Thesaurus of English Words and Phrases عام ١٨٥٢، وعد هذا القاموس مثالا للقواميس الألمانية والفرنسية والأسبانية ، وقد طبع هذا القاموس مرات عديدة (ظهرت الطبعة الحادية والثلاثون عام ١٨٧٣) ، وقد تأثر "روجت" في هذا العمل بمقولة شاعت في القرن السابع عشر عن إمكانية تكوين لغة مثالية لتنظيم المعارف العلمية وتطويرها. (١٤)

وقد طالب "باول Paul" عام ١٨٩٤ في محاضرة له أمام الأكاديمية العلمية لمنطقة "بايرن Bayern" بأنه عند تناول الثروة اللفظية فإن الترابط أو الصلات بين المفردات ينبغي ألا يهتم بالجانب الصوتي للكلمات فقط ، بل بالجانب الدلالي أيضا ، كذلك طالب "ج . فون جابلينتز G. von der Gabelentz" أيضا بأن الثروة اللفظية ينبغي أن تنظم حسب المعنى ، وأنهى "ف . دورن سساييف Dornseiff" بتأثير الترتيب المعنوي ومشاكل الترادف عمله المسمى "الثروة

و"فايسجرير" فالنظرية بذلت جهدا قليلا لعمل منهج عملي لغوي ، كما إنها لم تحل حلا مرضيا مشاكل مهمة مثل تحديد الحقول الدلالية بعضها في مقابل البعض الآخر ، كذلك لم تحل مشكلة استقلال هذه الحقول (١٣)

إسهامات أخرى في نظرية الحقل الدلالي:

بالإضافة إلى هؤلاء الرواد في نظرية الحقل الدلالي ينبغي أن نشير - باختصار - إلى علماء آخرين أسهموا بإسهامات لا تنكر ، ونعنى بهم أصحاب القواميس الذين نظموا المادة اللغوية حسب المجموعات الدلالية ، أو حسب الموضوعات وهو ما يسمى Onomastika (- onomastics بالإنجليزية)

وكان "لايبنتز Leibniz" من أوائل الذين اقترحوا القيام بعمل قاموس يؤسس منهجه حسب أنواع الأشياء أو الموضوعات ، أما أول تحقيق عملي لقاموس مرتب حسب المجموعات أو الموضوعات الدلالية فقد وجد عند "روجت Rogel" وذلك في عمله المسمى :

اللفظية للغة الألمانية حسب مجموعات الأشياء ، وصدرت الطبعة الأولى عام ١٩٣٣ "Der deutsche Wortschatz nach Sachgruppen" ، ثم ظهر في عام ١٩٥٢ خلال انعقاد مؤتمر علم اللغة العالمي السابع في لندن عمل "هلج / فارتبورج Hallig/Wartburg" المسمى "نظام المفاهيم Begriffssystem" (١٥)

نقد النظرية :

وجهت انتقادات كثيرة إلى هذه النظرية ، ويمكن توضيح أهم تلك الانتقادات في النقاط التالية :

١ - مسألة تعريف الكلمة أو تحديدها دلاليا ، فمن المعروف أن كل كلمة مفردة تحصل في الحقل الدلالي على تعريفها أو تحديد محتواها وعلى مكانتها (قيمتها المكانية) من خلال صلاتها بالأعضاء الأخرى في الحقل ويرى "ترير" أن الكلمة المفردة تحصل على تحديدها الدلالي من التركيب الكلي ، وقد أشار "كاندلر Kandler" إلى أن هذا الأساس من

التعريف المتبادل يؤدي إلى صعوبات منطقية ، حيث يدخل التعريف في دائرة .

٢ - مشكلة الحدود الخارجية ، وتعنى الحدود الخارجية الحدود بين الحقول الدلالية ، وقد مس "ترير" في أعماله عن حقل الكلمة مسألة الحدود الخارجية مسا خفيفا ، ولكنه لم يحل المشكلة حلا مقنعا ، ومن الجدير بالذكر ما قدمه "شقارتز Schwarz" من إسهامات في حل مشكلة الجبود بين الحقول الدلالية ، وقد كان على الرغم من ذلك متشائما ، حيث صرح بأنه لا يتوقع أن توجد خطوط واضحة بينها ، لأن المحتوى اللغوي يمتد من حقل إلى حقل دون فراغات، كما أن خيوط الربط بين الحقول ليست منقطعة تماما .

ويحاول "شقارتز" أن يقدم أساسا لاكتشاف مناطق الحدود ، وقد جاء هذا الأساس غامضا ، حيث يقول :
"إن غياب التطابق يقدم للباحث -

بالنظر إلى انخفاض العلامات بسبب قلة التوقع بين أعضاء الحقل - علامة مؤكدة كذلك ، حيث يخف التشابك أو تقل السمات ، وينتهي الحقل في محيطه الدائري ، وبذا يمكن تفادي الخطر الناتج من عدم وضوح الصلة بين الحدود " ويعنى هذا أنه كلما قلت السمات المشتركة بين أعضاء الحقل فإن ذلك يدل على انتهاء الحقل والانتقال إلى حقل دلالي آخر ، وليس الأمر سهلاً كما يبدو ، ومن ثم نجد أن "شقارتز" نفسه يرى في أعماله الحديثة عن الحقول أنه ليس مهماً في بحث تنظم الحقل تحديد الحدود الخارجية ، هذا وقد انتقده في الاهتمام بمسألة الحدود الخارجية علماء آخرون من أمثال "جبر Gipper" ، وأولمان الذي يقول : إن بعض الكلمات والحقول تكون متداخلة أكثر مما تكون محددة (١٦). وقد عارضت نظرية الحقول الدلالية "أكسار Oksaar" ، حيث

ترى أن نظرية حقل الكلمة لا تصلح للغة بصفة عامة لأنه يفترض عدم وجود حدود واضحة بين الحقول المفردة ، كما لا يوجد في اللغة دائماً حدود دقيقة بين مجموعات الكلمات ، وليس الحقل الكلي لكل الناس متساوياً ...

إن الحديث عن تحديد الحقل الكلي ليس حديثاً موضوعياً" (١٧)

٣- وجه علماء كثيرون من أمثال "شاید فايلر Scheidweiler" و "بانر Bahner" انتقادات لنظرية الحقول الدلالية ، حيث يرون أنها لم تبين على أسس استقرائية ، أي أنها لم تقم على قواعد أو أسس من النصوص التي بحثها "تريير" ، ويرى "بتز Betz" أن الإنسان يرغب في أن تكون اللغة جهازاً منطقياً رياضياً دقيقاً ، وأن تتفرع إلى حقول بدقة متناهية ، وبدون فراغات ، وبوضوح تام ، وليس هذا هو الواقع دائماً في كل حال ، ولهذا السبب فإن الحقل ليس شكلاً

تركيبياً جوهرياً للثروة اللفظية ، بل لا يعدو أن يكون نموذجاً لغوياً محتملاً .

وقد أثبت " بانر " أن تصور " ترير " عن الحقل لم يقم على عمل تجريبي ، بل على أساس فلسفي ، إن " ترير " نفسه يؤكد أن تصوره عن الحقل لم ينتج من مفهومه اللغوي ، بل من تصوره الفلسفي اللغوي ، وينتقد " بانر " تطبيق النظرية ، حيث يقول : " لقد ثبت في الوقت الراهن فقر البحث الذي قام على أساس نظرية الحقل ، حيث إن " ترير " وتلامذته انشغلوا بحقول تجريدية فقط ، ودرسوا عصوراً لغوية قديمة " .

ويعلق " جكر " على هذا النص قائلاً : إن هذا النص يثير نقطتين جديرتين بالمناقشة هما :

أ - هل تناسب نظرية الحقل بحث ما يسمى " الألفاظ التجريدية " فقط ؟ وقد أشار " ليونز " إلى تلك النقطة أيضاً ، حيث يرى أن

الإنسان طالما يمكنه التمييز بين الحقول التجريدية والحقول المتجسدة فإنه يكون من الأفضل أن يطبق نموذج " ترير " في الحقول المتجسدة التي للوحدات القاموسية فيها دلالة محددة أكثر من أن يطبق على الوحدات التجريدية التي لا تتمتع بهذا التحديد الدلالي ، ثم يقول إن نقاد " ترير " كانوا على حق حينما أشاروا إلى الخطر المنهجي وهو أن النظرية كلها تطورت على أساس تحليل الوحدات القاموسية التي اعتمدت على تعقيدات المفاهيم المأخوذة من مجال التجريدات العالية أو السامية مثل : الذكاء والفهم ، الجمال ، وقد أشار إلى ذلك أيضاً " قوادري " Quadri (١٨) .

ب - ركز البحث الذي قام على أساس نظرية الحقل جهده على العصور اللغوية القديمة ، وقد

عبر عن ذلك مجموعة كبيرة من اللغويين .

٤ - لم تسر النظرية وتطبيقها العملي وتتأجها المادية عند " ترير " ومن تبعه من اللغويين في طريق واحد ، كما هاجم " شايد فايلر " في مجموعة من مقالاته عام ١٩٤١ النتائج المادية لهذه النظرية ، ويرى أنه من الصعوبة لغير المتخصصين في الدراسات الجرمانية - إن لم يكن من غير الممكن - الاشتراك في مناقشة تفسير النصوص التي وردت في المسألة تفسيراً مادياً ، كما هاجمها واحد من أشهر علماء الدلالة وهو "كوسريو Coseriu" (١٩).

٥ - عدم الاهتمام بالسياق الذي ترد فيه الكلمة ، ولا نود في هذا المقام أن نشير إلى حقيقة أصبحت مؤكدة في مجال البحث الدلالي ، وهي أن دلالة الكلمة لا تتحدد إلا في إطار السياق اللغوي ، وهو ما يحيط بالكلمة من كلمات أخرى في الجملة أو في

العبارة أو في النص كله ، كما يتحدد المعنى أيضاً من خلال معرفة السياق غير اللغوي ، والذي يشتمل على الأشخاص والعلاقات بينهم ، والحدث والسمات الاجتماعية والشخصية والاتصال غير اللغوي... إلخ ، ويمكن القول باختصار إننا نقصد بالسياق ما ورد عند فيرث تحت ما يسمى " سياق المقام " والتطورات التي حدثت في تصور مفهومه عند العلماء الذين جاؤوا بعده من أمثال " أمر Ammer " الذي يقترح تصنيفاً رباعياً للسياق هو :

- السياق اللغوي ، ويقصد به علاقات الكلمة بغيرها من الكلمات الأخرى .

- سياق المقام ، ويقصد به الموقف الذي تنطق فيه الكلمة .

- السياق العاطفي ، ويرتبط بالانفعال العاطفي الذي تستعمل فيه الكلمة .

- السياق الثقافى ، ويقصد به البيئة الثقافية والاجتماعية للكلمة (٢٠) .

ويؤكد ليونز على أنه من الضرورى عند بحث المفردات فى إطار الحقل الدلالى ملاحظة أساسين :

الأول : ملاحظة السياق الذى ترد فيه الكلمات .

الثانى : استحالة بحث الثروة اللفظية للغة ما دون ارتباط ذلك بالتركيب النحوى لتلك اللغة ، حيث يحدد مفهوم الحقل ، - كما ورد عند علماء البنيوية - من خلال الصلات الجدولية Paradigmatic ، والصلات النحوية التركيبية Syntagmatic التى تقع بين هذه الوحدات والوحدات الأخرى التى توجد فى إطار النظام اللغوى المعطى دلالياً « جدولياً وتركيبياً » ، إنها تتبع المجال أو الحقل الدلالى نفسه ، ويمكن القول إنها عناصر أو أجزاء الحقل . إن حقل الكلمة لذلك جنس أعلى من الثروة اللفظية نحوياً وجدولياً .

تطور نظرية الحقل الدلالى ، نظرية تحليل المعنى ، :

تأثرت نظرية تحليل المعنى بما ورد عند " ترير " و " فايسجرير " من توضيح معانى الكلمات فى إطار مجالها أو حقلها الدلالى ، وإن كانت قد اعتمدت بصفة أساسية على مدرسة براغ التى اهتمت بتحليل الفونيمات ، فقد أشار " چكر " إلى أنه من المعروف أن المناهج البنيوية التى اهتمت باللغة ظهرت أولاً فى مجال الأصوات ، ثم انتقلت سريعاً إلى النحو ، وكان أول من فعل ذلك " ياكوبسون " ، كما اعتمدت نظرية تحليل المعنى على المدرسة الدانمركية ، فيرجع الفضل إلى العالم اللغوى الدانمركى " هيلمسلف " (١٩٤٣) فى أنه أول من اقترح المنهج فى المستوى التعبيرى ، وفى بحث الثروة اللفظية ، وانطلاقاً من أساس أن التعبير والمحتوى متلازمان نقل " هيلمسلف " الأفكار الحاسمة التى تهتم بإبراز الرموز فى التحليل إلى مجال الثروة اللفظية .

ويمكن أن نقول من منظور علم

الطبيعة إن " هيلمسلف " أنجز في مجال القاموس خطوة في الذرة Atome « أصغر الرموز اللغوية في مجال اللغة » ، عندما رأى إمكانية تجزئة الوحدات التي لا تجزأ إلى أصغر الوحدات « أشكال هيلمسلف المسماة Figurae » ، وإذا كان يرمز في مستوى التعبير بالفونيمات على أنها الأشكال التي لا تتجزأ فإنه يقابلها في الأشكال البنيوية ما نسميه نحن الآن " الملامح الدلالية المميزة Semes " ، ويقدم " هيلمسلف " في نظريته أمثلة لذلك ، كما يتصورها في الدرجة الأولى من التحليل:

ram « كبش » ، ewe « نعجة » ،
man « رجل » ، woman « امرأة » ،
boy « ولد » ، girl « بنت » ، stallion
فرس « ، mare « فرسة » .

وتحدد هذه الوحدات الثماني في الثروة اللفظية من خلال ستة عناصر «مكونات» ، وإذا نظرنا إلى رقم ١ ، ورقم ٢ ، وإلى رقم ١ ، ورقم ٧ مثلاً فإننا نجد أن أي تغيير لعنصر واحد منها كاف في كلتا الحالتين للتغيير في المستويات

اللغوية الأخرى ، ويطلق " هيلمسلف " على هذا السلوك مصطلح " اختبار التبدل أو التغيير " exchange test " ، وينتمي ذلك إلى نماذج الاتصال ، ومن المعروف أنه يستبعد بعض الوحدات من التحليل ، لأنها تتضح ارتباطياً من خلال علاقتها بوحدات أخرى ، فالبنت إنسانة ، وكذلك الطفل (٢١) .

وقد استخدم هذا المنهج أيضاً « بريتو Prieto " ، واستخدم نماذج الاتصال السابقة في تحديد الوحدات الوظيفية والتنوعات الوظيفية في الجداول الرأسية، كما تشكل نماذج الإتصال من جهة أخرى جهازاً لتحليل الوحدات القاموسية إلى ملامح مميزة (٢٢) .

وقد برز من اللغويين الذين اشتغلوا بتحليل المحتوى إلى السمات المميزة ثلاثة هم : جـرايماس Greimas ، وبوتيه Pottier ، وكوسريو Coseriu ، وقد عمق هؤلاء الباحثون منذ عام ١٩٦٢ - دون ارتباط بينهم - فهمهم . كما تطابقت وجهات نظرهم في النقاط الأساسية .

وقد قدم "جرايماس" فى كتابه :
Semantique structurale recherche de
méthode (باريس ١٩٦٦) مثالا للتحليل
فى مجال الصفات فى الفرنسية الحديثة،
حيث يذكر خصائص كل صفة .

وأعطى "بلانكى" Blanke أمثلة
للعلاقات بين الكلمات فى الحقل الدلالى
الواحد ، حيث يميز فى نظام التحليل
القاموسى بين أربعة أنواع من الصيغ
الجماعية :

١ - تقابلات ثنائية قطبية : رجل /
أمرأة ، غنى / فقير ، ذكى /
غبى ، سخن / بارد ، صلب /
لين ، قوى / ضعيف ،
صحيح / خاطئ .

٢ - ثنائيات متقابلة نسبيا مثل :
والدان / أطفال ، أب / ابن ،
يمين / يسار ، فوق / تحت .

٣- نظم رمزية متدرجة مثل :
مقاييس الأعداد (واحد - اثنان
- ثلاثة .. إلخ)

مقاييس الأطوال (سنتيمتر -
ديسمتر - متر - كيلو متر ،
بوصة - قدم - ياردة - ميل) .
٤ - المصطلحات العلمية ،
والتصنيف العلمى للحيوانات
والنباتات والتي يوضع فيها
الفرد فى مجموعة عامة فى
شكل هرمى مثل : زرع -
شجرة - جذر - فرع - ورقة -
وفى شكل أنواع وأجناس مثل :
العائلة - الحيوان .

٥ - التصنيف العلمى المتعدد الذى
ينتظم فى شكل دائرة مثل :
كلمات الألوان ، كلمات القرابة ،
ويمكن أن تتضمن بطريقة
جزئية ثنائيات مثل : أب / ابن ،
أحمر / أخضر .

ويكفى لتصنيف كلمات مجموعة
دلالية وتحليلها استخراج عدد صغير من
العلامات ، إن هذه الطريقة ناجحة فى
مجموعات كثيرة بمساعدة الصلات ،
والتي يدلنا على مكانتها الإحساس
اللغوى . (٢٣)

ويستطيع الإنسان أن يمثل هذه السمات الدلالية سواء أكانت تقابلية أو كانت العلاقة بينها خلاف ذلك في نموذج من الجداول ، يكتب في الجدول رأسيا الصفات أو الكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد ، ويكتب أفقيا السمات التي تشتمل عليها هذه الصفات ، كما يمكن للإنسان أن يمثل هذه السمات في نموذج من الشكل الشجري .

إن الكلمات التي تشترك في سمة أساسية واحدة (يطلق على هذه السمة عند جرايماس وعند بعض اللغويين الآخرين بالطبع مصطلح "noem") تعد مترادفات جزئية homonymes أو partielle Synonymes ، ومن الأمثلة التي يمكن ذكرها كلمات مثل : غابة - مكان مشجر- أدغال - كمأة - مشتل ... إلخ، حيث تشمل كل هذه الكلمات على سمة أو صفة عامة (noem) ثم تتميز كل كلمة فيها ببعض السمات الخاصة أو حزمة من الصفات التي قد تشترك في بعضها مع الكلمات الأخرى . (٢٤)

ويمكن التمثيل بمثال آخر أورده "جكر" نقلا عن "بوتيه" والذي استخدمه في تحليل الوحدة القاموسية "siège = مقعد" في الفرنسية الحديثة ، وقدم خمس وحدات قاموسية تشترك في بعض السمات الأساسية وهي : chaise (كرسي بمسند للظهر) ، fouteuil (فوتيه بمسند للظهر واليدين) tabouret (كرسي بدون مسند للظهر) ، cenape (كنبة) ، pauf (كرسي بدون مساند) ، ثم هناك بالإضافة إلى ذلك بعض السمات الأخرى مثل : لشخص واحد ، للجلوس ، بأذرع ، مصنوع من مادة صلبة .

وتشكل السمات (بأرجل ، للجلوس) سمات مشتركة للحقل ، ويطلق عليها مصطلح "السمات المشتركة archisemes" ، وتحققها يدل على وجود الوحدة القاموسية (مقعد siége) ، وتختلف كل وحدة قاموسية عن الأخرى في سمة واحدة على الأقل ، على حين تتشابه في السمات الأخرى" (٢٥) .

أما "كوسريو" فإنه يعتقد أن الصعوبة الأساسية هي كثرة عدد الوحدات القاموسية بالمقارنة بالعدد المحدود في مجال الفنولوجيا (الفونيمات أو الوحدات الصوتية) وفي مستوى القواعد (المورفيمات أو الوحدات الصرفية) ، ويؤدى ذلك بالضرورة إلى صعوبة عملية فى التحليل ، ومن ثم تقل المادة اللغوية المراد تحليلها ، كما مال إلى ذلك هيلمسلف" ، ويرى "كوسريو" أنه يمكن التغلب على هذه الصعوبة بالاعتماد على مجموعة من التفريقات الضرورية ، وأهمها :

١ - التمييز بين الأشياء والأمور غير اللغوية من جهة وكلمات اللغة من جهة أخرى ، إن الصعوبة الرئيسية تكمن فى قرب الوظيفة القاموسية من الواقع الذى يرمز له بالوحدات القاموسية لأن الثروة اللفظية هي الطبقة اللغوية الأخيرة أمام العبور إلى الواقع ، وهذا يعنى أنها تمثل فى اللغة الطبقة أو المستوى الذى

يرتبط مباشرة بالحقيقة غير اللغوية. ومن هنا يكون صعبا ، وإن كان عظيم الأهمية دائما ، التمييز بين ما يخص المعنى اللغوى وما يخص معلومات أو معارف الأشياء .

ويثار هنا سؤال هام هو : أى دور يمكن أن تقوم به المصطلحات واللغات الفنية فى إطار لغة ما ؟ ومن المعروف أن المصطلحات العلمية والفنية تخص اللغة ، هذا وإن كان لها شكل مختلف عن كلمات اللغة الطبيعية حيث إنها تمثل إمكانيات استعمال فى اللغة لأنواع من التحقيقات ، ومجالات جزئية مؤكدة للواقع الخارجى . إن المصطلحات تمثل تصنيفا موضوعيا مبنيا على التمييزات المنطقية المحددة exclusive مثل الحامض = قاعدة فى الكيمياء ، أما المقابلات اللغوية فإنها ليست كذلك ، ففيها نوع من التضمين inclusive ، مثل المقابلة بين نهار وليل ، حيث يكون من الصعوبة

التمييز بوضوح بين النهار والليل ،
وبعبارة أخرى يمكن القول إنه من
الصعوبة وضع خط فاصل بينهما ،
فبينهما نوع من التضمنين .

٢ - التمييز بين اللغة الأولى (لغة الأم)
'Le langage primaire' وما وراء
اللغة " Le métalangage " ، فكل
عنصر في المستوى التعبيري في
اللغة يمكن أن يستعمل فيما وراء
اللغة ، إن الاستعمال فيما وراء اللغة
يشكل إمكانية لانهائية من الكلام
(parole) ، إنه لا يتضمن تركيبا
دلاليا ، لأنه لا يتناول مجموعة
مصطلحات علمية غير محددة .

٣ - التفريق بين السنكرونية والديكرونية.

٤ - التفريق بين اللغة التاريخية واللغة
الوظيفية .

٥ - التفريق بين الأنماط والنظام من
جهة ، والنموذج والكلام من جهة
أخرى .

٦ - التفريق بين المعنى والترميز .

ويرى "كوسريو" بعد هذه المجموعة
من التفريقات أن التراكيب القاموسية
تختص بالمحتويات اللغوية ، ولا تهتم
بالحقائق غير اللغوية ، وأنها تعتمد على
اللغة الطبيعية وليس على ما وراء اللغة ،
كما إنها تختص بالسنكرونية ، ولا علاقة
لها بالديكرونية ، وباللغة الوظيفية وليس
باللغة التاريخية ، وبنظام اللغة ، وليس
بالمعيار اللغوي ، كما تهتم بالصلات
الدلالية ، وليس بالصلات الرمزية (صلة
الرمز بالشئ أو بالموضوع الذي يشير
إليه الرمز) .

وينبغي أن نشير إلى بعض المفاهيم
الأساسية في الحقل الدلالي عند
"كوسريو" وأهم هذه المفاهيم توجد في
إطار المصطلحات التالية :

، archilexeme ، lexeme ، seme

ويعنى المصطلح الأخير (archilexeme)
عند "كوسريو" الوحدة القاموسية
الأساسية أو العامة التي تنتمي إلى
المحتوى الكلي لحقل الكلمة ، إنها الكلمة
التي يتطابق محتواها مع الحقل الكلي

الكلمة ويمكن القول إنها المفردة التي تجمع معظم الملامح الدلالية لحقل ما ، أما الوحدات القاموسية فهي المفردات التي تنتمي إلى الحقل الدلالي العام وتسمى lexemes . وتدل السمة الدلالية (seme) على أصغر خاصية دلالية أو أصغر سمة تتميز بها الكلمة في التحليل الدلالي ، ويمكن التمثيل لذلك كله بالوحدات القاموسية التالية ، فكلمة إنسان وحيوان هما من الوحدات القاموسية العامة (archilexemes) ، وكلمة رجل أو امرأة وأسد أو غزال أو ذئب هي وحدات قاموسية (lexemes) ، أما كلمة أنثى الذئب ، أو كلمة الذئب فهما وحدتان قاموسيتان متضمنتان في وحدات أعلى (hypolexemes) (٢٦).

أما الكلاسي classe فهو مجموع الوحدات القاموسية التي ترتبط ببعضها حيث تأتي لازمة ومتعدية ، ولا يظهر ذلك إلا في السياق .

ومن النقاط الهامة عند "كوسريو" إشارته إلى أن الحقل الدلالي ليس

استعمالا للكلمة أو مجال استعمال لها ، فالحقل لا يتكون من مجموع استعمالات الكلمة المختلفة ، ولكنه يتضمن كلمات تتحدد بالتبادل ، فلا يوجد حقل دلالي يتضمن وحدة قاموسية واحدة ، كما أن من الأمور الجديرة بالتمعن قوله إن الحقول الدلالية لا تتطابق مع حقول المفاهيم ، فإن كان الحقل الدلالي حقلًا للمفهوم فليس معنى ذلك أن كل حقل للمفهوم حقل دلالي ، لأن حقل المفهوم يمكن أن يكون أيضا حقلًا اصطلاحيا terminologic ، إن كل وحدة قاموسية تعبر عن مفهوم أو تتطابق مع مفهوم ، ولكن ليس كل مفهوم يتمثل من خلال وحدة قاموسية (٢٧).

ويقرب من وجهة النظر هذا التحليل الدلالي عند الأمريكيين "واينرايش Weinreich" وتلميذه "هندكس Hendix" اللذين ينتميان علميا إلى البنيوية الأوروبية. أما علماء اللغة الآخرون في أمريكا فإنهم ينتمون إلى مجال التاريخ الإنساني ، حيث وجدت مدرسة جديدة

بالاهتمام تكونت من علماء التاريخ
الإنسانى (الأثنروبولوجيين والعلماء
الشعوب البدائية ، وعلماء الأثنولوجيين ،
والتي يعود تراثها إلى كروبر "krober"
عام ١٩٠٩) حيث قدموا دراسات تشابه
ما قام به علماء تحليل المحتوى
الأوروبيون، ويمثل هذا الاتجاه : كونكلين
Conklin ، جنود إنف Goodenough ،
لاونسبورى Lounsbury ، ودرس هؤلاء
العلماء لغات متنوعة ، ومنها لغات الهنود
الحمز فى أمريكا الشمالية ، كما اهتموا
بالخواص الأثنروبولوجية واللغوية معا .
ويرى لاونسبورى أن ما يرمز إلى
القربابا فى لغة ما هو الحقل الدلالى ،
ويمكن مقارنتها بما يناظرها فى اللغات
المختلفة ، كما يشير إلى أن كلمات
القربابا يمكن أن نراها مركبة ، أو مكونة
من مثال ، ويمكن أن نعددها نوعا من
التحليل المتشابهة حيث تعطى فى لغة ما
مجموعات نموذجية أخرى ، إنه يفهم
الحقل على أنه مثال .

ويمكن القول باختصار إنه إذا كان

"جرايماس" (١٩٦٦ ، ١٩٧٠) ، وبوتينه
(١٩٧٤) ويريتسو (١٩٦٤ ، ١٩٦٦)
و"كوسزيو" ممثلى الاتجاه التحليلى
البنىوى للثروة اللفظية فى مجال الدلالة
فى أوربا فإن الاتجاه الأمريكى ظهر غير
مرتبط بذلك ، ولم يتطور على أنه نظرية
فى التركيب الدلالى قام بها علماء اللغة ،
بل على أنه تكنيك قام به الأثنروبولوجيون
لوصف الثروة اللفظية لألفاظ القرابة
ومقارنتها فى لغات متنوعة (قارن :
جودإنف (١٩٥٦) لاونسبورى (١٩٥٦) ،
ولس وأتكس Wallace/Atkins (١٩٦٠)
، وقد تعهد هذا بعد عدة سنوات علماء
آخرون من أمثال لامب Lamp (١٩٦٤) ،
وندا Nida (١٩٦٤ ، ١٩٧٥) ، وواينرايش
Weinreich ، كما يمكن النظر إلى
محاولات "كاتز وفودور katz/Fodor " على
إنها امتداد لهذه النظرية . (٢٨)

ونود أن نشير أخيرا إلى نقطة
جديرة بالبحث ، وقد اهتم بها علماء
الدلالة الذين ينتمون إلى النظرية
التحليلية ، ونعنى بها الصلة بين الوجدات

القاموسية التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد ، فمن المعروف أن علم الدلالة البنيوي باتجاهاته المتعددة يهتم بصلات التناظر الجدولي paradigmatic بين الوحدات القاموسية المختلفة ، وقد بدأ "ترير" علمه الرئيسي عن الثروة اللفظية في اللغة الألمانية بالفكرة التي كانت مثار جدل ونقاش ، وهي أن كل كلمة تنطق تثير نقيضها في وعى المتكلم والمستمع .

ويرى "ليونز" أن الإجابة عن السؤال الذي أثير كثيرا ، وهو : هل حقيقة تثير الكلمة نقيضها في وعى المتكلم والسامع عند النطق بها ؟ تدخل في مجال علم النفس ، وفي نظرية السلوك اللغوي أكثر من أن تكون هامة في تحليل النظام اللغوي ، كما يرى أن رأى "ترير" يبدو متضمنا أن كل كلمة من الثروة اللفظية لها ضد واحد فقط ، وما إذا كان هذا هو الحال أو غير ذلك فإنه سؤال هام ينبغي أن نشغل أنفسنا به .

ويشير "ليونز" إلى أنواع متعددة من المتضادات توجد في اللغات المتنوعة ،

فهناك متضادات (تضاد = Antonymy) تأتي مقابلة لغيرها مثل ، جيد : سيء ، عال : مخفض ، جميل : قبيح ، عجوز : شاب ، وهناك الإتيان بالضد باستعمال النفي مثل ، متزوج : غير متزوج . ثم هناك التفريق بين التضاد المتدرج وغير المتدرج مثل ، سخن : بارد ، حيث تتدرج السخونة من درجة الغليان إلى درجات أقل ، وكذلك تتضمن البرودة درجات متعددة ، بخلاف نحو : متزوج : أعزب ، وهناك بالإضافة إلى ذلك التضاد التقابلي Antipodel ، وذلك مثل : شرق : غرب ، شمال : جنوب ، حيث نجد أن "شرقا" تتقابل مع "غرب" ، و"شمالا" مع "جنوب" هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد أن "شرقا وغربا" تتقابل مع "شمال وجنوب" ، أي أن كل واحدة من هذه الوحدات تقع في تقابلين ، ثم هناك التضادات المتعامدة orthogonal مثل "شمال" التي تتعارض مع "شرق وغرب" .

ويفرق "ليونز" كذلك بين صلة التضاد (Antonymy) وصلة العكسية أو العكس

(Conversion) مثل "يشترى" و "يبيع" و"الزوج" و "الزوجة" ، ثم يشير أخيرا إلى أنواع أخرى من التضاد ، وهي التي تقوم على الاتجاه مثل "وصل" و"سافر" ، "ويأتى" و "يذهب" ، حيث إن هذه الوحدات القاموسية تعبر عن حركة فى اتجاهين متقابلين ، وتنقسم إلى تقابلات رأسية وأخرى أفقية ، فالأولى مثل "يمين" و "يسار" ، و"أمام" ، و"خلف" ، والثانية نحو "أعلى" و "أسفل" .

إن ذلك كله يؤدي عنده إلى القول إنه لا توجد إجابة وحيدة عن السؤال :

ما التضاد فى الوحدات القاموسية ؟ إنه يشتمل على التضادات المتعامدة (شمال مع شرق وغرب ، ورجل مع سيده وشاب وفتاة) ، وعلى التضادات المتقابلة (شمال مع جنوب ، وشرق مع غرب ، وربيع مع خريف ، وصيف مع شتاء) ، ولكنه يصرح فى النهاية قائلا : إنه يمكن القول إن التفريق بين هذه الأنواع بعضها عن البعض الآخر ليس واضحا تماما. (٢٩)

ويكاد يتفق كثير من الدالين الذين يمثلون نظرية التحليل الدلالى على أن معنى الوحدات القاموسية للثروة اللفظية يمكن أن يوصف من خلال مجموعة من التقابلات الثنائية ، ويتضمن هذا أن كل وحدة قاموسية يمكن أن تقارن بوحدة قاموسية أخرى من وحدات الثروة اللفظية فى مجال بعدى متعدد الأطراف .

وينبغى أن نشير أخيرا إلى صلة هامة من الصلات الموجودة بين بعض الكلمات ، وقد سبق أن ذكرناها فى موضع سابق ، ونعنى بها صلات التداخل "Hyponymy" بين بعض الوحدات القاموسية ، حيث تندرج إحدى الوحدات القاموسية فى غيرها ، أو بعبارة أخرى توجد وحدة قاموسية عامة تتضمنها ، وذلك مثل ، بقرة : حيوان ، وردة : زهرة ، استقامة : فضيلة ، لبنى : أزرق ، وقد أصبح شائعا الآن استعمال هذا المصطلح للدلالة على تلك الصلة بديلا عن المصطلح الآخر "التضمين Inclusion" ، والذي أصبح يستعمل فى معان أخرى

فى علم اللغة وفى المنطق ، وهكذا يمكننا القول إن بقرة مندرجة أو متضمنة فى حيوان ، وإن وردة متضمنة فى زهرة ، كما أن وردة وسوسن وnergس مندرجة كلها فى زهرة .(٣٠)

ويرى "ليونز" أن تحليل المكونات وسيلة لإقامة الصلات الدالية التى توجد فى الوحدات القاموسية ، وإن كان لا يرى أن مفهوم "المجال الدالى" لعب دورا فى تأسيس مجال الصلات الدالية.(٣١)

وإذا كانت هذه - باختصار - أهم المعالم الأساسية فى جهود لغويى الغرب فى مجال الحقول الدالية (نظريا وتطبيقيا) فإنه يبقى علينا أن نشير - باختصار أيضا - إلى أهم الأعمال التى حاولت جمع الثروة اللفظية واستطاعت ترتيبها ترتيبا يعتمد على الموضوعات أو على المحتويات ، فنقول إن أهم الأعمال التطبيقية فى هذا المجال دراسة "تريير" لألفاظ اللغة الألمانية فى إطار التصنيف الدالى أو بالنظر إلى تطبيقها دلاليا من البدايات حتى بداية القرن الثالث عشر

والتي ظهرت عام ١٩٣١ ، وكان لها أثرها الكبير فى ظهور دراسات أخرى سلكت هذا المنهج ، فقد قام تلامذة "تريير" بدراسة الثروة اللفظية للغة الألمانية فى عصور أخرى ، وامتد الأثرالى دراسة ألفاظ اللغة الفرنسية والإنجليزية ، ثم ظهرت الدراسات اللغوية الأمريكية فى لغات الهنود الحمر ، وقد اهتمت بالمجال الأنتروبولوجى ، كما سبق القول .

أما أول تطبيق عملى على مستوى المعجم ، فقد أشرنا سابقا إلى معجم "روجت Roget" الشهير فى اللغة الإنجليزية : Roget's Thesaurus of English words and Phrases ، والذى رتبته بناء على المعنى عام ١٨٥٢ ، ثم ظهر عمل "دورنسايف" فى اللغة الألمانية عام ١٩٣٣ ، ثم المعجم الأسباني لكاسارس Casares عام ١٩٤٢ ، ثم العمل المنهجي الذى قدمه "ورتبورج وهلج" عام ١٩٥٢ ، ولعل أحدث معجم يطبق نظرية الحقول الدالية هو ذلك المعجم المسمى "Greek New Testament"

وقد تم الانتهاء من تصنيف مجالات المعجم بعد الانتهاء من تحليل خمسة عشر ألفا من المعانى المختلفة لمفردات يبلغ عددها خمسة آلاف كلمة ، وعلى الرغم من قصور المعجم من ناحية عدم شمول مفرداته ، وبالتالي عدم شمول مجالاتها فإنه يقدم نموذجا جيدا لمعاجم المجالات التى تقوم على التصنيف المنطقى والأساس التسلسلى . (٣٢)

هذه - باختصار - جهود الغرب فى مجال الحقول الدلالية نظريا وتطبيقا ، وينبغى علينا الآن أن نشير إلى ما قدمه علماء العربية فى هذا المجال وسنرى أسبقيتهم ، حيث قدموا عددا وفيرا من الرسائل والكتب التى حوت ألفاظا رتبت حسب المحتوى ، ثم نجد أخيرا معاجم متناثرة سارت على هذا النهج ، لعل من أشهرها وأكبرها على الإطلاق معجم "المخصص" لابن سيده وسنتناول هذه الجهود التى قام بها العرب فى الصفحات التالية .

نبذة مختصرة عن نشأة الدراسات الدلالية عند العرب :

أصبح من القول المعاد الإشارة إلى أن الدراسات اللغوية نشأت عند الأمم القديمة مرتبطة بالنصوص المقدسة دينيا وعقائديا ، وكان الدين البراهمى the Brahmin religion سببا فى الاحتفاظ ببعض مجموعات من التراثيل القديمة جدا نصوصا سرية لهذا الدين ، وأصبح تفسير هذه النصوص واجب مجموعة خاصة من المتعلمين ، وقد اهتمت جماعة الهندوس بهذه النصوص المقدسة قدرسوا أصواتها وقننوا القواعد الخاصة بظواهرها النحوية ووضعوا قوائم من كلماتها لشرحها وتفسيرها واصفين نموذجا صحيحا سموه اللغة الفصحى أو "السنسكريتية" ، ثم توجت هذه الدراسة بما قدمه أعظم النحاة القدماء ليس فى الهند وحدها ، بل فى العالم القديم كله ونعنى به النحوى الشهير " بانينى Panini " . (٣٣)

نشأ البحث اللغوي عند الصينيين استجابة لدراسة الأدب الكلاسيكي والنصوص القديمة ، ورغبة في تدوين نظام الكتابة التصويرية التي كانت تكتب بها اللغة الصينية القديمة ، وقد انتعشت الدراسات الفنولوجية الصينية في العصر المتأخر بتأثير التعليم اللغوي للرهبان البوذيين الذين كانوا يتكلمون السنسكريتية حيث أثروا على الصينيين منذ القرن الخامس قبل الميلاد .^(٢٤)

أما في اليونان فمن المعروف أن التفكير اللغوي نشأ في أحضان الفلسفة وبقي زمنا غير قصير جزءا منها ، حيث كان الفلاسفة اليونانيون هم الذين بدأوا البحث في اللغة ومشكلاتها ، وكان التساؤل عن أصل اللغة وطبيعتها مثار جدل كبير بين الفلاسفة آنذاك ، كما كانت طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول محل نقاش استمر عدة قرون حتى عصر أفلاطون وأرسطو^(٢٥).

ومما لاشك فيه أن الدراسات اللغوية نشأت عند العرب لخدمة النصوص

الدينية المقدسة : القرآن الكريم أولا ، ثم الأحاديث الشريفة ثانيا ، وانتقل الأمر أخيرا إلى الاهتمام باللغة كلها شعرها ونثرها ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام المرجع الأول الذي يفسر للمسلمين ما غمض عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ، فيشرح معانيها والمقصود منها ، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، قام بهذه المهمة خير قيام الصحابة الأجلاء من أمثال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ، وهناك روايات شهيرة وردت في كتب التراث تتحدث عن أن بداية التأليف في النحو تعود إلى أبي الأسود الدؤلي أو إلى علي بن أبي طالب نفسه .

وبدأ البحث في مجال الدلالة بشرح الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وربما كان كتاب "غريب القرآن" الذي ينسب إلى ابن عباس (ت ٦٨هـ) أول كتاب يوضع لشرح الكلمات الغريبة في القرآن الكريم، ثم توالى الكتب في هذا المجال ، أما التدوين في الفرع الثاني ، وهو غريب

الحديث فقد بدأ متأخرا ، ويعد كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) في غريب الحديث أول كتاب - على أصح الأقوال - في هذا الفرع من الدراسات الدلالية ، وجمع بعض المؤلفين النوعين معا فيما يسمى "كتب الغريبين" ، وتعد هذه الكتب وماتبعا من كتب متنوعة في مجالات أخرى رتبت أبوابها حسب الحرف الأول بداية التأليف في المعاجم اللفظية التي كان أولها معجم "العين" للخليل بن أحمد. (٣٦)

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته (٣٧) إلى أن العرب وضعت المعاجم بسبب ملامسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميلا مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمروا كثير من أئمة

اللسان لذلك ، وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب "العين"

وقد تتابعت المعاجم اللفظية تقلد الخليل في ترتيب مادتها اللغوية ، وظهرت معاجم لفظية أخرى كالجمهرة لابن دريد تخلت عن نظام الترتيب المخرجي مع الاحتفاظ بالتقليب ، هذا مع اهتمامه بالكمية ، وإن جاء تناوله مختلفا ، حيث قسم المعجم كله تقسيما كليا (الثنائى - الثلاثى الصحيح - الثلاثى المعتل .. إلخ) ، ثم ظهرت مدارس أخرى في ترتيب المعاجم اللفظية كمدرسة القافية (الصحاح للجوهري ، لسان العرب لابن منظور ، القاموس المحيط للفيروزابادى إلخ) ، ومثل مدرسة الترتيب الألف بائى (كأساس البلاغة للزمخشري والمعاجم العربية الحديثة) .

أما المعاجم المعنوية أو معاجم الموضوعات فهي التي تتخذ الدلالة أساسا في الترتيب ، ويمكن الإشارة إلى أن بدايات التأليف في هذا النوع من

المعاجم تعود إلى مجموعات من الرسائل أو الكتب التي ألفت مبكرة والتي تفرعت إلى :

١- كتب الحشرات ، وتشتمل على الكتب التي ألفت عن الحشرات والهوام مثل كتاب أبي خيرة الأعرابي ، وكتابي الحيات والعقارب لأبي عبيد (ت ٢١٠هـ) وكتاب النحل والعسل لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) وغيرها من الكتب التي تناولت الحشرات وصفاتها .

٢ - كتب الخيل ، وهي الكتب التي تناولت أعضاء الخيل وصفاتها مثل كتب : النضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ) ، وأبي المنذر هشام بن محمد الكلبى (ت ٢٢٤هـ) ، وأبي عمرو الشيباني ، وقطرب (ت ٢٠٦هـ) ، وأبي عبيدة ، وغيرها من الكتب التي تناولت في هذا المجال .

٣ - كتب خلق الإنسان ، وتضمنت

هذه الكتب شرح أعضاء جسم الإنسان ، والألفاظ التي تطلق عليها ، وتعرض بعضها لأمر الحمل والولادة والسن ، وبعضها الآخر للصفات الخلقية والخلقية . (٣٨)

وقد تطورت هذه الأنواع من الكتب إلى نوع آخر لم يعد قاصرا على موضوع واحد ، بل تعداه إلى شرح موضوعات عدة تجمعها صفات مشتركة ، وذلك مثل كتاب الغريب المصنف لأبي عمرو الشيباني ، والغريب المصنف لقطرب ، والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ، والذي يشتمل على أكثر من ثلاثين كتابا في موضوعات مختلفة مثل خلق الإنسان ، والنساء ، واللباس ، والطعام والشراب ... إلخ .

ويندرج تحت هذا النوع من الكتب كتاب الصفات للأصمعي ، وكتاب الصفات للنضر بن شميل ، والذي يحتوى على موضوعات مثل : خلق الإنسان ، والجود والكرم وصفات النساء ، والأخبية

والبيوت ، وصفة الجبال والشعاب ،
والإبل والغنم ... إلخ (٣٩)

وهكذا كانت هذه الرسائل أو الكتب
البدائية الطبيعية لتأليف المعاجم المعنوية ،
والتي توجت بمعجم "المخصص" لابن
سيده في القرن الخامس الهجرى ،
وستتناول فى الصفحات التالية النقاط
الآتية :

١ - الأساس النظرى الذى انطلق
منه أصحاب المعاجم المعنوية .

٢ - أهم الانتقادات التى توجه إلى
جمع المادة اللغوية وتصنيفها
عند علماء العربية فى هذا
المجال .

٣ - التطبيق العملى الذى اتبعته
هذه المعاجم .

(ولا : الأساس النظرى :

يذكر ابن قتيبة أن كتاب أهل زمانه
قد استنابوا الدعة ، واستوطنوا مركب
العجز وأعفوا أنفسهم من كد النظر
وقلوبهم من تعب التفكير ، ولما كان يخشى

أن يزيد الأمر سوءا جعل له حظا من
عنايته ، وجزءا من تأليفه ، فعمل لمفعل
التأديب كتب خفافا فى المعرفة ، وفى
تقويم اللسان واليد يشتمل كل كتاب منها
على فن وأعفاه من التطويل والتثقل حتى
يسهل حفظه ودراسته. (٤٠)

وليست كتبه هذه للمبتدئين ، أو كما
يقول : لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا
بالجسم ، ومن الكتابة إلا بالاسم ، ولم
يتقدم من الأداة إلا بالقلم والدواة ،
ولكنها لمن شدا شيئا من الإعراب ، ولا بد
له - مع هذه الكتب - من النظر فى
الأشكال لمساحة الأرضين ... ومن النظر
فى جمل الفقه ومعرفة أصوله ... ولا بد له
- مع ذلك - من دراسة أخبار الناس ،
وتحفظ عيون الحديث ، ليدخلها فى
تضاعيف سطوره متمثلا إذا كتب ،
ويصل بها كلامه إذا حاور. (٤١)

ويتضح من النصوص هذه أن هدفه
تقديم خدمة للمتأديبين والكتاب ، وذلك
بإطلاعهم على أسرار العربية وألفاظها ،
حتى يستعملوا تلك المفردات فى معناها

الدقيق ، وفي دلاليتها المحددة ، فمن أراد أن يعبر عن معنى ما فعليه أن يعي اللفظ الصحيح الذي وضع لهذا المعنى ، ومن ثم يجب على هؤلاء المتأثرين أو الكتاب أن يعلموا مفردات الأبواب والموضوعات التي وردت عنده ، فهذا بالإضافة إلى معرفة الأشياء الأخرى كاشكال مسنحة الأرضين ، وما يتصل بها ، وفي جمل الفقه وأصوله ، وأخبار الناس وأحوالهم ، أى أن الهدف تعليمي عملي .

وكان هدف الثعالبي قريبا من ذلك ، حيث يشير إلى أنه كانت تجرى في مجلسه (مجلس أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي) - أنسه الله - نكت من أقاويل أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ولطائفها وخصائصها ، مما لم يتنبهوا لجمع شمله ، ولم يتوصلوا إلى نظم عقده ، وإنما اتجهت لهم في أثناء التأليفات ، وتضاعيف التصنيفات ، لم يسيرة كالتوقيعات ، وفقر خفيفة كالإشارات فيلوح لى - أدام الله دولته - بالبحث عن أمثالها ، وتحصيل أخواتها ،

وتذليل ما يتصل بها وينخرط في سلكها ، وكسر دفتر جامع عليها وإعطائها من النيقة (الجودة والمبالغة) حقها .

ثم يذكر الثعالبي أنه أخذ عن العلماء السابقين واقتفى آثارهم ، وأنه جمع في التأليف بين أفكار الأبواب والأوضاع وأتى لها باللغات والألفاظ الملائمة. (٤٢)

وقد أكد هذا المعنى ابن خلدون ، حيث يشير إلى أن هذا النوع من المؤلفات يحتاج إليها الأديب في فنى نظمه ونثره حذرا من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها ، وهو أشد من اللحن في الإعراب وأفحش. (٤٣)

أما ابن سيده فيذكر أن الهدف من تأليف معجمه أنه لما ظهرت حاجتنا إلى اللغة لمكان التعبير عما نتصوره ، وتشتمل عليه أنفسنا وخواطرنا أحب أن يجرى فيها كتابا يجمع ما تنتشر من أجزاءها شعاعا وتنتشر من أشلائها حتى قارب العدم ضياعا ولا سيما هذه اللغة المكرمة الرفيعة ... والتي هي مادة كتاب

الله تعالى الذى هو سيد الكلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولما وجد أن تأليف القدماء جاء نشرا غير ملتئم ونثرا ليس بمنظم ، حيث لاكتاب يعلمه إلا وفيه من الفائدة ما ليس فى صاحبه ، ولم يركتابا مشتتلا على جلها فضلا عن كلها أراد أن يضع كتابا شاملا كل ألفاظ اللغة ، يقول : "فأشراأت نفسى عند ذلك إلى أن أجمع كتابا مشتتلا على جميع ما سقط إلى من اللغة إلا ما لا بال به ، وأن أضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلا ، وأحكم فى ذلك تفريعها وتأصيلها ، وإن لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه" (٤٤) .

ويشير ابن سيده كذلك إلى الهدف الذى ذكره السابقون ، وهو خدمة الفصيح المدره والبليغ المفوه والخطيب المصقع والشاعر المجيد المدقع ، فإنه وإن كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاء ، واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية. (٤٥) .

ويتضح من هذه النصوص أن هدف ابن سيده هو وضع كتاب يشمل ألفاظ اللغة ومفرداتها التى تناسب الموضوعات والأبواب المتنوعة ، حتى يتسنى لنا التعبير عما يجول فى أنفسنا وخواتمنا من معان وأفكار ، هذا بالإضافة إلى هدف هام آخر ، ألا وهو التعبير عن المعنى المعين باللفظ المناسب والكلمة الصحيحة .

وليست هذه الأهداف بعيدة عن الأهداف التى أراد تحقيقها علماء الغرب من دراسة لغاتهم فى إطار نظرية الحقول الدلالية ، حيث كانوا يهدفون إلى حصر ألفاظ اللغة وجمعها ، ثم انطلقوا من ذلك إلى محاولة ربط دلالة الكلمة بمجموعات دلالية تشترك معها ، وقد سبق أن أشرنا إلى تشبيهه " اسن " صلة الكلمة بالكلمات الأخرى التى تشترك معها دلالياً بالفسيفاء حيث يؤدى تناسب الكلمة مع الأخرى إلى توضيح دلالة كل واحدة منهما ، حيث تشترك كلها فى وحدة شعورية تدرج فى نظام أعلى ، ولا تندمج فى تجريد أسن .

وقد وردت هذه الفكرة عند " ترير " أيضاً ، حيث تأثر " ترير " نفسه بأفكار " أبسن " (٤٦) .

ثانياً: التطبيق العملي :

إذا ما ألقينا نظرة على كيفية تنظيم علماء العربية (سنختار منهم على سبيل المثال : ابن قتيبة ، والثعالبي ، وابن سيده) للموضوعات أو الأبواب التي احتوت عليها كتبهم فإننا نجد أن تنظيمهم يندرج بصفة عامة تحت البدء بالكليات أو الموضوعات العامة وينتهي بالجزئيات أو الموضوعات الخاصة ، وكما يقول ابن سيده : " إنه قدم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص ، والأتيان بالكليات قبل الجزئيات " ، وسنعود إلى الحديث مرة أخرى عن ابن سيده . أما الآن فإننا نود أن نعرض بشيء من التفصيل إلى ترتيب الموضوعات عند ابن قتيبة والثعالبي وابن سيده .

ابن قتيبة :

يبدأ ابن قتيبة بالعام ، وهو باب المعرفة ، ومنه معرفة أصول أسماء الناس

والنباتات كالنخل والحيوانات كالخيل ، ثم يبين الفروق بين ألوان شتى من الصفات والأشياء ، مثل باب فروق في الأسنان أو في الأقواه أو في الصفات ، وينتقل بعد ذلك إلى معرفة في الطعام والشراب ، وفي الطير والهوام والحشرات ، والنواذر، وباب قسمية المتضادين باسم واحد .

ويبدو من النظرة الأولى في هذه الموضوعات أنها لا تغطي كل مجالات الدلالة ، وإذا ما قلنا على سبيل التوسع أن كل باب من هذه الأبواب يشير إلى حقل دلالي واحد فإننا نجد أن العلاقة بين بعضها والبعض الآخر قد تتحقق مثل العلاقة بين الحقول التي نتحدث عن الإنسان أو الحيوان أو النبات ، ولكننا نفتقدها في أحيان أخرى مثل باب معرفة الآلات الذي يتناوله بعد باب شيات الغنم، ثم تنتهي بأبواب صوتية وصرفية ونحوية.

الثعالبي :

وإذا كان الثعالبي يرى أنه جمع في التأليف بين أبعاد الأبواب والموضوعات

فإننا نرى أن الأبواب التي جاء بها تنقسم إلى قسمين : قسم الموضوعات الذي طرقه من سبقه من العلماء من أمثال ابن قتيبة ، وقسم يعد إضافة ، حيث لم ترد موضوعاته في الأبواب التي تناولها سابقوه ، إن أبواباً مثل الباب الأول « في الكليات » الذي يتناول فصولاً عدة في ذكر ضروب من الحيوان والثياب والطعام ، والباب الرابع عشر « في أسنان الناس والدواب » ، والباب الخامس عشر « في الأصول والرغوس والأعضاء والأطراف » والباب الثالث والعشرين « في اللباس وما يتصل به ، والسلاح وما يضاف إليه » وردت عند ابن قتيبة ، على حين لم ترد أبواب مثل الباب السادس عشر « في صفة الأمراض والأدواء » والباب الرابع « في أوائل الأشياء وأواخرها » والباب الواحد والعشرين « في الجماعات مثل فصل في ترتيب جماعات الناس وتدرجها من القلة إلى الكثرة » ، كما نلاحظ أن بعض الدلالات تتكرر بألفاظ أخرى في أكثر من

باب مثل صفات المرأة التي وردت في أحد فصول الباب السابع عشر ، وقد مر حديث عن السمينية من النساء في أحد فصول الباب الخامس ، ومثل الفصل الذي يتحدث فيه عن ضروب من الحيوان الذي ورد في الباب الأول ، ثم يتحدث عن الحيوانات في الباب الثاني ، وفي الباب السابع عشر ، وهو بعنوان " في ذكر ضروب الحيوان والحشرات " ، وربما كان السبب الذي أوقع الثعالبى في هذا الأمر هو أنه كان يتناول جانباً واحداً من الشيء أو من الموضوع الذي عقد له الباب مثل باب " الملاء والامتلاء " الذي يتحدث فيه عن الملاء في أنواع شتى ، مثل فلك مشحون ، وكأس دهاق ، وواد زاخر ، وبحر طام ، ونهر طافح ... إلخ ، ومثل باب في الطول والقصر في الإنسان.

وينبغي الإشارة إلى أن القسم الثاني من كتاب " فقه اللغة " وهو " سر العربية " يتناول غالباً مسائل نحوية وصرفية ، كما يتناول بالإضافة إلى ذلك

مسائل تدخل في البلاغة مثل التشبيه والاستعارة والتجنيس والطباق والكناية والإلتفات والحشو .

وإذا كان كتاب " فقه اللغة " قد اشتمل على أبواب وموضوعات أعم وأشمل من الجزء الذي ورد في كتاب " ابن قتيبة " فإننا نرى أنه - على الرغم من ذلك - لم يجمع كل المجالات الدلالية أو جميع الموضوعات .

ويبقى بعد ذلك أن نأتى بمثال يوضح مدى عمق اللغويين العرب في التمييز بين حقول الكلمات المختلفة وبين دلالات الألفاظ ومعانيها ، يقول «الثعالبي» في تصنيف الألفاظ التي تتحدث عن أنواع الموت « فصل في تفصيل أحوال الموت من الباب السادس عشر » :

إذا مات الإنسان عن علة شديدة
قيل: أراح ، قال العجاج :

أراح بعد الغم والتغمم

فإذا مات بعة ، قيل : فاضت نفسه
« بالضاد » ، أو فجأة فيظاء ، وإذا مات

من غير داء ، قيل : فطس ، وفقس ، عن الخليل ، وإذا مات في شبابه ، قيل : مات عبطة واحتضر ، فإذا مات عن غير قتل ، قيل : مات حتف أنفه ، وأول من تكلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا مات بعد الهرم ، قيل : قضى نحبه ، عن أبي سعيد الخريز ، أومات مسافراً ، قيل : ركب رده ، فإذا مات تزفاً ، قيل : صفرت وطابه ، عن ابن الأعرابي ، وزعم أنه يراد بذلك خروج دمه من عروقه " (٤٧) .

ويمكن أن يقارن ذلك بالحقل الدلالي لكلمة الموت كما ورد عند قاييسجرير الذي فرّق فيه بين أنواع الموت المختلفة ومبيناً الكلمات التي تعبر عن كل نوع منها مثل: مات ، انتهى ، انتقل إلى الحياة الأخرى ، لبي نداء ربه ، نام نوماً أبدياً ، توفى ، سقط صريعاً ، انقطع نفسه ، هلك ، لقي حتفه ... إلخ . وقد أورد كلمات حقل الموت على شكل دائرة (٤٨) .

ابن سيده :

يعد كتاب « المخصص » الذي يقع في سبعة عشر سفراً أو جزءاً أضخم

معجم دلالي وضعته العرب ، وقد أخذ المادة اللغوية من سابقيه ، حيث اعتمد ابن سيده - كما يقول - على كتب يعقوب ابن السكيت وأبى عبيد وثعلب وأبى حنيفة فى الأنواء والنبات ، والفراء والأصمعى وأبى زيد وأبى حاتم وكراع والنضر ابن شميل وغيرهم (٤٩) .

ويذكر ابن سيده طريقة تناول المادة اللغوية داخل المعجم قائلاً : إنه قدم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص ، والأتيان بالكليات قبل الجزئيات والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديمنا كم على كيف ، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل ، مثال ذلك ما وصفته فى صدر هذا الكتاب حين شرعت فى القول على خلق الإنسان فبدأت بتنقله وتكونه شيئاً فشيئاً ، ثم أردفت بكلية جوهره ثم بطوائفه ، وهى الجواهر التى تأتلف منها كليته ، ثم ما يلحقه من العظم والصغر ، ثم الكيفيات كالألوان إلى ما يتبعها من الأعراض والخصال الحميدة والذميمة" (٥٠) .

وإذا ما ألقينا نظرة على أبواب المعجم ، أو كما سماها ابن سيده "الكتب" فإننا نجد أن الكتب من الأول حتى السابع عشر تدخل فى مجال الدلالة، أما الكتب الأربعة الأخيرة فإنها تندرج فى مجالات الصرف والنحو والأصوات .

أما فيما يتصل بعلاقة الكتب أو الأبواب بعضها ببعض الآخر فإننا نعثر على نوع من العلاقة أو الصلة بين بعض الأبواب مثل الصلة بين الأبواب التى تتناول الإنسان والحيوان « مثل كتب الخيل والإبل والغنم والوحوش والسباع والحشرات والطيور » التى ترد متتالية من الكتاب السابع حتى الثالث عشر ، على حين نفقد هذه الصلة بين هذه الكتب وكتاب الأنواء « مثل باب ذكر السماء والفلك وأسماء المنازل وصفاتها والبروج » التالى لها .

أما فيما يتعلق بترتيب الموضوعات داخل الكتاب الواحد فإننا نلاحظ أن ترتيبها لا يخضع أحياناً لأى منطق ،

فهذه أبواب الأمراض « ج ٤ / ص ٦٤ »
تندرج عنده في كتاب الطعام ، كما
يتضمن هذا الكتاب أيضاً الكلام عن آثار
الديار ونحوها ، والبيوت وما فيها وما
حولها « ج ٤ / ص ١٢٠ وما بعدها »
كما نجد أن كتاب السلاح في السفر
السادس يتضمن أسماء الموت وصفاته .

ويمكن القول إن الكتاب الواحد قد
يشتمل أحياناً على أشتمات من
الموضوعات التي ليست لها صلة بعنوان
الكتاب ، وذلك مثل كتاب النخل « ج ١١ /
ص ١٠٢ » الذي يتضمن بالإضافة إلى
النخل والنباتات المعادن كالذهب والآثار
واقتيافها ومعرفة أماكن المياه ونحوت
الطريق ، والبرق ، والقرب والآيات ،
والسكون والطمأنينة ، والاختلاط ...
والكتاب وآلاته ، والقراءة والجواب والغناء
والرقص واللعب ، والإيمان والصلاة
والآذان والزكاة .

ونلاحظ أن ابن سيده يتناول أحياناً
الشيء أو الموضوع في أكثر من موضع
مثل باب الآثار الذي يرد عنده تابعاً

لكتاب الطعام « ج ٥ / ص ١٢٠ » ، ثم
يرد مرة أخرى تابعاً لكتاب النخل « ج
١١ / ص ٣٣ » ، أو مثل باب أمراض
العين والأسنان وعيوبهما الذي يوجد
مندرجاً في كتاب خلق الإنسان « ج ١ » ،
ثم يوجد باب آخر خاص بالأمراض « ج
٥ / ص ٦٤ » .

ونلاحظ أخيراً أن ابن سيده
يخصص أحياناً كتاباً أو باباً لبعض
الأشياء أو الحيوانات أو النباتات الهامة
في حياة البدوي مثل إفراده النخل بكتاب
خاص « ج ٢٢ / ص ٣٣ » ، وذلك لما
نعرفه من أهمية النخلة في حياة العربي
الذي يعيش في الصحراء معتمداً على
أجزائها وعلى ثمارها .

ثالثاً : أهم الانتقادات التي توجه إلى
المعجم المعنوية :

وهكذا يمكننا - بناء على الملاحظات
التي أشرنا إليها - تلخيص أهم العيوب
التي يتصف بها جمع المادة اللغوية
وتصنيفها داخل المعجم المعنوية عند
العرب على النحو التالي :

١ - وجود علاقة ضعيفة أو عدم وجودها
كلية بين الأبواب أو الموضوعات
المتتالية التي تدرج في حقل دلالي
واحد .

٢ - تناول الشيء أو الموضوع في أكثر
من مكان واحد داخل الأبواب
الدلالية المتعددة .

٣ - عدم وجود منهج واضح في جمع
المادة اللغوية وتصنيفها ، على
العكس مما نجده في نظرية الحقول
الدلالية التي قسمت فيها الحقول
«كما نجد عند فايسجرير» (٥١) .
حسب مجالاتها إلى :

أ - حقول الكلمات في مجال مظاهر
الطبيعة .

ب - حقول الكلمات في مجال
المظاهر المدنية .

ج - حقول الكلمات في مجال
الروح .

هذا على الرغم من وجود بعض
العيوب التي يمكن أن توجه إلى

المحاولات الأولى من المعاجم
المبكرة في إطار نظرية الحقول
الدلالية في الغرب .

٤ - الحدود بين الحقول الدلالية غير
دقيقة « هذا إذا ما أطلقنا مصطلح
الحقول الدلالية على الأبواب في
المعاجم الدلالية عند العرب » ، ولا
يقتصر هذا العيب على المؤلفات
العربية ، بل نجده في مؤلفات
الغربيين أصحاب نظرية الحقول
الدلالية ، ويرجع " شفارتز Schwarz
" السبب في ذلك إلى أن المحتوى
اللغوي يمتد من حقل إلى حقل دون
فراغات ، كما أن خيوط الربط بين
الحقول ليست منقطعة تماماً ، وقد
أعلن أنه ينبغي علينا ألا نتوقع وجود
خطوط واضحة بين الحقول الدلالية ،
ويمكننا اكتشاف الحدود بين الحقول
عندما يقل التطابق بين أعضاء
الحقل الدلالي الواحد (٥٢) .

ويمكننا تشبيه الحقل الدلالي - كما
فعل فايسجرير - بدائرة في المياه

حدثت بسبب إسقاط حجر فيها ، حيث تكاد معالمها تختفى كلما ابتعدنا عن مركز الدائرة ، فالفروق المعنوية للكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد تختفى كلما كانت الكلمات بعيدة دلالياً عن المركز ، وقد انتقد كثير من علماء الدلالة هذا التصور لمناطق الحدود ، ومن هؤلاء العلماء " أولمان " الذي يقول : إن بعض الكلمات والحقول تكون متداخلة أكثر من أن تكون محددة^(٥٣) . وكما تقول " أكسار Oksaar " : أثبت البحث أن نظرية حقل الكلمة لا تصلح للغة بصفة عامة ، لأنه يفترض عدم وجود حدود واضحة بين الحقول المفردة ، كما لا

توجد في اللغة دائماً حدود دقيقة بين مجموعات الكلمات ، وليس الحقل الكلي متساوياً عند كل الناس ، إن الحديث عن تحديد للحقل الكلي ليس حديثاً موضوعياً^(٥٤) .

ه - عدم مراعاة التغيرات الدلالية للألفاظ عبر الزمن ، حيث لم يتتبع علماء العربية معاني المفردات وتغيراتها من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، أي يمكن القول إنهم أهملوا الأساس الدياكروني في تناول المفردات داخل الأبواب أو الكتب ، وهذا ما قام به الغربيون الذين اهتموا بالجانبين السنكروني والدياكروني معاً .

محمود جاد الرب

كلية الآداب - جامعة المنصورة

Verlag, Frankfurt am Main,
1973, S. 301, 302 .

Geckler : Strukturelle : چکر - ٥
Semantik, S. 89.

Ullmann : Grundzuge : أولمان - ٦
der Semantik, S. 145, 146.

Blanke Gustav H. :: بلانكى - ٧
Einführung in die semantische
Analyse, Max Hueber
Verlag, Munchen, 1973, S.
48, 49.

Lyons : وانظر أيضاً " ليونز " :
John : Semantik, Band 1. ,
Verlag CH, Beck, Munchen,
1980, S. 272 - 277.

Lyons John : Seman- : ليونز - ٨
tik, Band 1. S. 26

Strukturelle ... ,: " چکر " :
S. 42 - 46 و" أولمان " :

Grundzuge der Semantik ... ,
S. 146.

الهوامش :

١ - چکر : : Geckler Harst :
Strukturelle Semantik und
Wortfeldtheorie, Wilhelm
Fink Verlag, Munchen,
1982, S. 84 - 89.

٢ - أولمان :: Ullmann Stephen :
Grundzuge der Semantik,
die Bedeutung in Sprachwis-
senschaftlicher Sicht, Walter
der Gruyter, Berlin, New
York, 1972, S. 144, Titel der
originalausgabe: The princi-
ples of semantics, 1957.

٣ - سوسير: Saussure Ferdinand De :
Grundfragen der allgemei-
nen Sprachwissenschaft, 2.
auflage, Berlin, 1967, S. 150,
151

٤ - أولمان : : Ullmann S.: Seman-
tik, eine Einführung in die
Bedeutungslehre, S. Fischer

٢٠- Einführung in die semantische Analyse, S. 139. بلانكى :-

٢١- Brekle Herbert E. : : بركللى :-
Semantik, UTB, Verlag
Munchen, 1974 (2. verbesserte Auflage, Wilhelm Fink Verlag) S.66, 67.

٢٢- Strukturelle Semantik, : جكلر :
S. 205 - 208.

٢٣- Einführung : بلانكى :-
S. 51 - 55.

٢٤- المرجع السابق ص ٢٥١ - ص
٢٥٤ وانظر أيضاً " جكلر " :
Strukturelle, S. 212.

٢٥- جكلر : S. , ...
214 - 216.

٢٦- المرجع السابق ص ١٧٩ - ١٩٥ »
بتصرف « .

٢٧- المرجع السابق ص ٢٠١ - ص
. ٢٠٤

٩ - جكلر : Strukturelle:
Semantik, S. 101.

١٠- ليونز : Semantik,
Band 1. S. 265.

١١ - جكلر : Strukturelle :
Semantik, S. 265.

١٢- المرجع السابق ص ١٠٣ ، ص
. ١٠٤

١٣- المرجع السابق ص ١١٠ ، ص
. ١١١

١٤- المرجع السابق ص ٩٧ .

١٥- المرجع السابق ص ٩٩ .

١٦- نقلاً عن " جكلر " ص ١٤٧ .

١٧- جكلر : Strukturelle Semantik,
S. 153 - 155.

١٨- المرجع السابق ص ١٦٠ ، ص
١٦١ ، وانظر أيضاً " ليونز " :

Semantik, Band 1. S. 270.

١٩ - جكلر : Strukturelle Seman-
tik, S. 150 - 165.

atur- und Sprachwissen-
Schaft, Band 2. , Sprachwis-
senschaft,

وانظر أيضاً د. عبد الرحمن بدوي :
الخطابة لأرسطو : الترجمة العربية
القديمة (١٩٥٩) ص ٩١ .

٣٦- د. حسين نصار : المعجم العربي ،
نشأته وتطوره ، دار مصر للطباعة
(١٩٨٨ / ١٤٠٨) ج ١ / ص ٣٣
وما بعدها .

٣٧- ابن خلدون : المقدمة ، الطبعة
الرابعة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ص
١٠٨ .

٣٨- د. حسين نصار : المعجم العربي
نشأته وتطوره ، ج١/ ص ١٠٠ -
ص ١٠٨ .

٣٩- المرجع السابق ص ١٦٥ ، ص
١٦٦ .

٤٠- ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تحقيق
وضبط : محمد محيي الدين عبد
الحميد الطبعة الرابعة (١٣٨٢هـ -
١٩٦٣م) ص ٦ ، ص ٨ ، ص ٩ .

٢٨- ليونز : Semantik, Band 1. S. :
328.

٢٩- المرجع السابق ص ٢٩١ - ص
٢٩٦ ، وانظر أيضاً " ليونز " :

Einführung in die moderne
Linguistik, S. 471 - 478.

٣٠- ليونز : Semantik, S.300- 302.

٣١- د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ،
الطبعة الثانية ١٩٨٨ ، عالم الكتب ،
ص ٨٤ ، ص ٨٥

٣٣- بلومفيلد : Language, 1976, p.
11.

وانظر أيضاً " روينز " :
Ideen- und Problemgeschichte der
Sprachwissenschaft, Athenam
Verlag, 1973, S. 7.

٣٤- روينز : Ideen- und Problem-
geschichte ... S. 6.

٣٥- بنبورج : Antike : Pinborg
Grammatiktheorie, S. 91, im
Buch : Grundzuge der Liter-

- ٤١- المرجع السابق ص ٩ ، ص ١١ .
- ٤٢- الثعالبي : فقه اللغة ، وسر العربية
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده بمصر ، تحقيق :
مصطفى السقا وآخرين (١٣٩٢هـ
- ١٩٧٢م) ، ص ٣٠ .
- ٤٣- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥٤٩ .
- ٤٤- ابن سيده : المخصص ، تحقيق
لجنة إحياء التراث العربى ،
منشورات دار الآفاق الجديدة ،
بيروت ، ص ٨ ، وكرر المعنى نفسه
فى أماكن أخرى .
- ٤٥- المرجع السابق ، ص ١٠ .
- ٤٦- جكر : Strukturelle Semantik, S. 89.
- ٤٧- الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ،
ص ١٥٢ .
- ٤٨- بلانكى : S. , ... , Einfuhrung
66, 67.
- ٤٩- ابن سيده : المخصص ، ص ١٢ ،
ص ١٣ .
- ٥٠- المرجع السابق ، ص ١٠ .
- ٥١- جكر : Strukturelle Semantik,
S. 111.
- ٥٢- نقلاً عن جكر : - Strukturelle Se-
mantik, S. 147.
- ٥٣- المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، ص
١٥٠ .